

رسالة: أسباب مغفرة الذنوب

إملاء العلامة المحدث:
عبد الله بن عبد الرحمن السعد
— حفظه الله —

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد . . .

فإن مغفرة الذنوب غاية كل مسلم ومطلب كل مؤمن لأنه عندما تغفر ذنوب العبد من قبل ربه عز وجل فإن في هذا سعادته في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَسَلِّمْ عَلَيَّ يَا مَعْزِرِي رَبِّي وَسَلِّمْ عَلَيَّ يَا مَعْزِرِي رَبِّي وَسَلِّمْ عَلَيَّ يَا مَعْزِرِي رَبِّي﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرَ يَتُوبُ إِلَيْكَ وَسَلِّمْ عَلَيَّ يَا مَعْزِرِي رَبِّي وَسَلِّمْ عَلَيَّ يَا مَعْزِرِي رَبِّي وَسَلِّمْ عَلَيَّ يَا مَعْزِرِي رَبِّي﴾ [غافر: ٩].

فعلَى كل مسلم أن يسعى إلى تحقيق هذه المغفرة له من قبل الله عز وجل وذلك بفعل الأسباب التي جعلها الله عز وجل سبباً لغفران الذنوب والتجاوز عن السيئات والعبوب، وهذه الأسباب^(١) هي:

(١) انظر لفائدة كلام الإمام ابن تيمية في مكفرات الذنوب حيث عدّها عشرة، وللشيخ عبد الله بن عثيمين نحو ذلك، وما فيها من ذكر هنا.

أولاً: التوبة إلى الله عز وجل :

والتوبة هي: رجوع العبد إلى الله والإلتابة إليه من ذنب قد ارتكبه أو واجبا تركه، ولها شروط ثلاثة وهي: الندم والإقلاع عن الذنب والعزيمة على عدم العودة، وإن كان ذلك في حق مخلوق فترد عليه حقه أو تحلل منه.

والتوبة من أفضل الأعمال وأجل القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه عز وجل، وقد بين الرسول ﷺ مكانة هذه العبادة عند الله عز وجل بقوله: «الله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بأرض مهلكة دوية، عليها طعامه وشرابه، فطلبها حتى إذا أمس من حصولها نام في أصل شجرة ينتظر الموت، فاستيقظ، فإذا هي على رأسه، قد تعلق خطامها بالشجرة، فانه أفرح بتوبة عبده من هذا براحلته» منفق عليه.

وقد أمره الله عز وجل بذلك، فقال تعالى: ﴿تَوَلَّوْا إِلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ عَلَيْهِ لَا يَحْمِلُ أَسْفَارَكُمْ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَلَّوْا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَكُمْ نُصْرَةٌ فِي الْيَوْمِ﴾ [البور: ٣١].

وقد كان ﷺ يكثر من الاستغفار والتوبة إلى الله عز وجل حتى أنه في المجلس الواحد يتوب إلى الله ويستغفره سبعين مرة، فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «يا أيها الناس توبوا إلى الله، فوالله إنني لأتوب إلى الله في اليوم أكثر من سبعين مرة» رواه البخاري.

وفي حديث الأغر بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة» رواه مسلم.

وقد شرع الله لعباده الاستغفار بعد الأعمال الصالحة كالصلاة والحج، حتى يكون ذلك جابراً لما قد يحصل فيها من النقص، قال تعالى: ﴿لَمْ أَقْصُوا مِنْ حَيْثُ أَكَّاهُ الْمَاءُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩]، وعن ثوبان رضي الله عنه قال: «كان ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثاً». رواه مسلم.



ثانياً: تحقيق التوحيد واجتناب الشرك:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، أي: آمنوا بالله ولم يلبسوا إيمانهم بشرك، فلهم الأمن في الآخرة، وهم مهتدون في الدنيا.

فالتوحيد هو أساس الدين، وهو الشرط الأول لقبول القربات والطاعات ومغفرة الذنوب، وتحقيقه يكون بخلیصه وتصفيه من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، فيكون برفاد الله عز وجل بالعبادة وإثبات ما أثبتته الله لنفسه، ومراقبته والتعلق به، وكثرة دعائه واللجوء إليه، والإتيان بالأركان والواجبات وتكميل ذلك بالسنن والمستحبات.

وترك ما ينافي ذلك كله من الشرك الأكبر الذي ينافي أساس التوحيد وأصله، وترك الشرك الأصغر والكبائر والتي تنافي كمال التوحيد الواجب، وترك كل ما ينافي كماله المستحب من الامتراء - وهي طلب الرقية من الغير -، ومثله الاكتواء، كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنه - عند مسلم - في السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب.

ومما يحقق التوحيد محبته - محبة التوحيد وأهله والنود عن
أعراضهم والرد على مخالفاتهم -، قال الشيخ عبدالرحمن بن
حسن رحمه الله : من لم يحب التوحيد لم يكن موحداً ، لأنه هو
الدين الذي رضي به الله لعباده، كما قال تعالى : ﴿ تَزَيَّجْتُ لَكُمْ
الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

وقال الإمام ابن تيمية - رحمه الله - : من أحب الله أحب
دينه، وما لا دلا.

كما أن الشرك أعظم سبب يمنع العبد من مغفرة الذنوب، قال
تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨]
وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْقَائِلَ ﴾ [البقرة: ٢٦]

فتحقيق التوحيد واجتناب الشرك من أعظم الأسباب التي
يتحقق من خلالها المغفرة للعبد، فقد أخرج مسلم عن أبي ذر
رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى :
يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا شرک بي
شيئاً ، لأتيناك بقرابها مغفرة ».

وأخرج الترمذي من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي
الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله سيخلص
رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فيشر عليه تسعة
وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول : أتتكر من
هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ يقول : لا يا رب، فيقول :
أفلك عذر ؟ فيقول : لا يا رب !، فيقول : بلى، إن لك عذلاً
حسنه، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها : أشهد أن لا
إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول : احضر

وزنتك، فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: فإنك لا تعلم. قال: فتوضع السجلات وتُقلَّب البطاقة، ولا ينقل مع اسم الله شيء؟ إسناده جيد، وقد صححه ابن حبان والحاكم.

قال أبو الفرج ابن رجب: من جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا لقيه الله بقرابها «مغفرة».. إلى أن قال: فإن كَمُلَ توحيد العبد وإخلاصه لله تعالى فيه، وقام بشروطه بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك «مغفرة» ما قد سلف من الذنوب كلها، ومنعه من دخول النار بالكلمة، فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه أخرجت منه كل من سوى الله محبة وتعظيمًا، وإجلالًا ومهابة، وخشية وتوكلًا، وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياها كلها، وإن كانت مثل زبد البحر. ملخصًا.

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى - : وعفى لأهل التوحيد المحض الذي لم يشوبوه بالشرك ما لا يعفى لمن لبس كذلك، فلو لقي الموحِدُ الذي لم يشرك بالله شيئاً البتة ربه بقراب الأرض خطايا أتاه بقرابها «مغفرة»، ولا يحصل هنا لمن نقص توحيده، فإن التوحيد المخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب؛ لأنه يتضمن من محبة الله وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجائه وحمله ما يوجب غسل الذنوب، ولو كانت قراب الأرض، فالتجاسة حارضة، والناسع لها قوي. اهـ.



ثالثاً : الأعمال الصالحة :

وهذا السبب من الأسباب العظيمة التي يحصل بها «مغفرة» الذنوب سواء كان العمل من الواجبات أو المستحبات، والألفة

على ذلك كثرة جداً منها :

قوله تعالى : ﴿اتَّخَلُّوا لَعْنَةَ يَمَّا كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [النحل: ٢٢] فلا يدخلون الجنة إلا بغضران ذنوبهم.

وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحُصِّلَتْ لَهُمْ مَالُهُمْ وَأُتُوا بِآيَاتِهِمْ لَأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية الأولى هي الصلاة والصلاة في وقتها وبأركانها وواجباتها وإخراج الزكاة وغير ذلك من الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة والرزق الكريم.

عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما منكم رجل يضرب وضوءه فيمضمض به ويستنشق فيتشر إلا أخرجت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه، ثم إذا غسل وجهه كما أمر الله إلا أخرجت خطايا وجهه من أطراف لحينه مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا أخرجت خطايا يديه مع أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه إلا أخرجت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا أخرجت خطايا رجله مع أنامله مع الماء، فإن قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهل، وفرغ قلبه لله، إلا انتصرف مع خطيئته كهيفة يوم ولدته أمه» رواه مسلم .

وفي «الصحيحين» : «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»، وفي رواية : «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»، وفي رواية : «من قام ليلة القدر».

وسئل ﷺ عن صوم يوم عرفة فقال : «يكفر السنة الماضية والباقية».

ومثل ﷺ عن صيام يوم عاشوراء فقال: «يكفر السنة الماضية».

والأدلة في هذا كثيرة من القرآن والسنة، وهذا أمر معلوم لدى كل مسلم، فعلى كل أحد أن يكثّر من الأعمال الصالحة قولية كانت أم فعلية.



رابعاً : اجتناب السيئات والذنوب :

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [النجم: ٣٩-٤٠].

وقال تعالى : ﴿إِنْ تَصَدَّقُوا كَمَا آتَاكُمْ مِنْهُ فَتَحْسِنُوا لَهُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النساء: ٣١].

فهذا وعد من الله لعباده أنهم إذا اجتنبوا كبائر المنهيات غفر لهم جميع الذنوب والسيئات، وأدخلهم مديناً كريماً - كثير الخير - وهي الجنة المشتملة على ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ويدخل في اجتناب الكبائر : فعل الفرائض التي يكون ناركها مرتكباً للكبائر، كما أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن، ما اجتنبت الكبائر» ، فاجتناب السيئات والذنوب بشئ أنواحها سبب اغفران الذنوب.



خامساً: الإحسان إلى الناس وكف الأذى عنهم:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلْ أَمْوَالَكُمُ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ أَنْ يُكْذِبَ إِلَيْكُمُ الْفَرْقَ وَالْمُنْكَرَ وَالْمُحْجِرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْبُدُوا رَبَّكُمُ فَاصْفَحُوا إِلَّا فِيهِ شَرٌّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]

سبب نزول هذه الآية أن أبا بكر رضي الله عنه كان يتصدق على مسطح بن أثاثة، فعندما حصل منه ما حصل تجاه عائشة رضي الله عنها امتنع من الإحسان إليه، فنزلت هذه الآية الكريمة، كما في «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بينما رجل يمشى بطريق - وفي رواية امرأة بغياً - أشد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له» قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في هذه البهائم لأجر. فقال: «في كل كبد رطبة أجر». رواه البخاري.

فغفر لهذه المرأة بسبب إحسانها لهذا الكلب، فكيف بمن يحسن إلى الناس، ويسعى إلى نفي كربهم؟!.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ثلاث رجل فقيل له: ما كنت تقول؟ قال: كنت أبايع الناس فاتجوز عن الموسر، وأخفف عن المعسر، فغفر له». رواه البخاري.

وكما أن أذى الناس من الأسباب المانعة لمغفرة الذنوب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْوَ مَا نُحْتَسِبُ لَهُمْ

فَقَدْ احْتَمَلُوا بِهَيْبَتِنَا مَا عَلَمْنَا فِيهِمْ ﴿٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٨]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار» رواه مسلم.

فالإحسان إلى الناس، والتخفيف عنهم، وتوزيع كربهم،
وفضاء حوائجهم، وكف الأذى عنهم، سبب لدخول الله للعبد



سلاسل: المصائب والبلاء الذي يصيب المسلم في الحياة الدنيا.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَهْتَبُوا وَلَا تُنْزِلُوا وَأَنْتُمْ الْكَافِرُونَ﴾ إن ههنا
 ثلاثين آية (١٣٩) إن يستنكم من قبله ففقد من القوم فترج وتعالى وتعالى
 الأيمان تدركها بين الأيسر ويعلم الله اليوم آمثوا وتجدد ومنكم
 شهداء والله لا يحب الظالمين (١٤٠) وللمؤمنين الله اليوم آمثوا ويمحق
 الكافرين (١٤١) أو حبيبكم أن تدخلوا الجنة ولما يسمو الله اليوم جاهدوا
 ومنكم ويعلم الظالمين ﴿[نك عمران: ١٣٩-١٤٢]

[illegible]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة

وعن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها» رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة». رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.



فإن دعاء الله عز وجل سبب عظيم لمغفرة الذنوب والتجاوز
عن العيوب والسيئات

فَالْتَجَاءُ إِلَى اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّمَنِ اللَّهُ ذِلَّةٌ ۚ لِّمَن ذِلَّتِ الْوُجُوهُ لِلَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۚ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ﴾

[آگ عمران: ۱۹۳-۱۹۵]

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله علمني دعاء أدعوا به في صلاتي. قال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من

عنك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم». رواه البخاري.
 فعلى العبد أن يكثر من دعاء الله عز وجل أن يغفر له ذنوبه
 ويتجاوز عن عيوبه، لا سيما في أوقات الإجابة، كجوف الليل
 الآخر، وآخر ساعة من يوم الجمعة، وبين الأذان والإقامة، وغير
 ذلك.

وقال تعالى: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَيَكْفُرُوا بِحُكْمِكَ كَمَا كَفَرُوا فِي الْأَرْضِ الْأُثْمَىٰ ۚ لَكَ يَلْمِزُكَ مَا تَشَاءُ بِالْأَقْصَىٰ ۚ وَلَهُ يُجْعَلُ الْقَوْلُ فِي قُلُوبِهِمْ مِمَّا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝﴾ [الحديد: ٢١].

فيا أيها المسلم عليك بالسعي بتحصيل أسباب المغفرة
 وخاصة في الأزمنة الفاضلة، والأماكن المعظمة، قبل أن ينزل
 بك الأجل.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
 أجمعين.

أملا

عبدالله بن عبدالرحمن السعد^(١)

(١) وأتمني بتكميل ما بقي من هذا الموضوع، فأضفت إليه ما يتعلق به،
 وعرضته على الشيخ - حفظه الله - فأقره كتيبه سعد بن محمد الفحطاني في
 ٢٧/رمضان/١٤٢٧هـ.